

الخوانيق، ومفارقات التاريخ

المُلخَص.

ثبت معرفة مرض عضال مماثل لجائحة زماننا هذا، الكورونا إبان سنة ٤٦٢ للهجرة، نفس سنة زلزال مصر وفلسطين، وواقعة ملاذكر. على ما يبدو الداء كان معروفاً منذ القرن الآنف، فقد راح فيه من الملوك والأعيان، لكن أصاب أهل بغداد في سنة ٤٦٢ للهجرة (١٠٧٠ للميلاد) حتى راح فيه سبعون ألفاً في أسبوع واحد، وانتشر من بغداد إلى الموصل، والشام والبصرة، والأحواز. مات فيه أناس وأغلقت بيوت كاملة على من فيها، بل إن شوارع كاملة مات سكانها وأغلقت على من فيها، خلت فيها قرى كاملة. أنتشر المرض بين الناس بصورة فضيعة، بل وشاع بين الناس والخيول والحمام. عُرفَ بالخُنَاق، أي ما أصاب الناس من خنق في التنفس، مصاحب بحمى، وهزيل شامل مميت ما بين خمسة إلى سبعة أيام، لكم لم يثبت معه احمرار الجلد، وهو ما قد يفرقه عن جائحة كورونا في أيامنا هذه. عجز الأطباء عنه، لم ينفع معه لا ساخن ولا بارد، ولم يتمكنوا منه إلا بعزل الناس وحجرهم.

المقارنة تنتهي إلى تصحيح بعض السرد التاريخي عند ابن كثير الذي عزی الأحداث لسنة ٤٢٥، فقترح تصحيحه لنفس سنة زلزال مصر وفلسطين ٤٦٢، بتوافق أدلة أخرى، ومن ثم تصحيح أحداث تاريخية أخرى عند ابن كثير توافقا مع ابن القيم والأثير في عرض المسرح التاريخي.

المفاتيح. داء الخوانيق، كورونا، زلزال مصر وفلسطين، تصحيح ابن كثير

Resumen.

Se constata históricamente una pandemia muy similar al Covid-19 acontecida sobre los años 462H, coincidente en el mismo año del terremoto de Egipto y Jerusalem, y la Batlla de Malazker. La referida pandemia ya era conocida, habría cobrado la vida de miembros de la realeza en el siglo cuarto, pero en el 462H (1070 DC) habría cobrado la vida de unas 70 miles de personas en una sola semana en la ciudad de Bagdad. Se propagó de Bagdad, a Mosúl, Damascos, y de Basara y las provincias colindantes. Morían familias enteras, por lo que se sellaban las puertas de las casas a sus muertos dentro, incluso morían calles que se cerraban enteras a sus habitantes, se vaciaban barrios y pueblos enteros. La enfermedad se propagaba entre humanos, caballos, y palomas. Se le conocía como el *estragamiento*, caracterizada por trastorno respiratorio, fiebre alta, debilidad general, y finalmente la muerte que apenas duraba entre 5 a 7 días, no se constata enrojecimiento en la piel. Los médicos eran incapaces de explicarla, no respondía ni a frío ni calor, no se erradicó sino por el confinamiento de la población afectada, y aislarla.

Se termina rechazando el origen asiático de la pandemia, por no encontrar coincidencia entre los relatos. Además en aquel mismo año se constatan varios acontecimientos apocalípticos. El terremoto de Egipto y Jerusalem seguido por un tsunami, que se propone situarlo en el mar rojo, desde el sur del Sinai hacía el interior, en el que el mar se habría retrocedido varios kilómetros, y que la gente se avalanchó a recoger peces, y acabaron todos muertos por el retorno del mar. Además se documentan varios comportamiento astronómicos anormales. La aparición una enorme fuente de luz, como el sol, durante dos días seguidos, y acompañada con temibles ruidos astronómicos.

Palabras Claves. Codiv-19, Coronavirus, estragamiento, terremoto de Jerusalem

Summary.

Very similar pandemic to Covid-19 evidence has been documented in Bagdad into the years 462H, coinciding in the same year with the earthquake into Egypt and Jerusalem, and the Battle of Manzikert. The illness appears to be known previously, having killed royalty members in the fourth century, but through the year 462H (1070 AC) has killed around 70 thousands of people in one single week in the city of Bagdad. It has extended from Bagdad to Mosul, Damascus and Basra and the region. Entire families died, and their homes have been closed into them, several streets all their habitats die, and has been closed entirely. Several city areas, villages disappear entirely. The sickness propagated into humans, horses, and doves, was known as respiratory difficulty, fever, general weakness and die into 5 to 7 days, but there's no evidence founded regarding skin redness as known today with Covid-19. Doctors weren't able to explain it, didn't respond to hot either cold, they didn't control it, neither eradicated unless by confining the population.

Finally, the conclusion is to decline the Asiatic origin of the sickness, as may came with the Islamic armies from India, as no coincidence founded. Then, in that same year, several apocalyptic things have been documented. The Earthquake in Egypt and Jerusalem, followed by a big tsunami, situated in the red sea, where the sea had retracted several kilometres and the people went to pick up fish and got surprised by the water coming back above them. Then several astronomic abnormalities have been documented, such as the appearance of big light in the sky, which shown as touching the earth during a couple of days, accompanied by big sonances.

Keywords. Covid-19, coronavirus in the history, Jerusalem earthquake.

توطئة.

استرعى انتباهي خبر تناقلته منشورات إلكترونية مفاده أن ابن كثير ذكر «كثرة الموت في بغداد بداء سمي بالخوانيق، وهو داء يصيب الحلق والحجرة يصعب معه التنفس، وتصحبه حرارة عالية وضعف. حتى كان يغلق الباب على من في الدار كلهم قد ماتوا، فمات في شهر واحد ٩٠ ألف». ولقوله صلى الله عليه وسلم «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»، حاولت تقصي أصله، وصحة مصدره. فوجدت مغالطات ومفارقات في التأريخ ما جذبني للوقوف عليها، بالرغم من أنني لست مؤرخاً ولا أقل من ذلك، لكن إسترسلت في مقاضاتها للنظر فيها.

مصدر الخبر المتناقل أورده ابن كثير في البداية والنهاية، الجزء الثاني عشر في خبر سنة خمس وعشرين وأربعمئة لهجرة المصطفى، صلى الله عليه وسلم. جملة مفاد أخبار السنة أورد فيها ما يلي:

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمئة

فيها غزا السلطان مسعود بن محمود بلاد الهند وفتح حصونا كثيرة. وكان من حملتها أنه حاصر قلعة حصينة فضرجت من السور عجز كبيرة ساحرة. فأخذت مكنسة فبلتها ورشتها من ناحية جيش المسلمين. فمرض السلطان تلك الليلة مرضا شديدا. فارتحل عن تلك القلعة. فلما استنقل ذاهبا عنها. عوفي عافية كاملة. فرجع إلى غزته سالما. وفيها ولي الساسميري حياية الجانب الشرقي من بغداد لما تفاهد أمر العيارين. وفيها: ولي سنان بن سيف الدولة بعد وفاة أبيه. فقتل عمه قراشا فأقره وساعده على أموره. وفيها هلك ملك الروم أرماتوس. فلذلك رحل ليس من بيت ملكهم. قد كان صيرفيا في بعض الأحيان. إلا أنه كان من سلالة السلك قسطنطين. وفيها: كثرت الزلازل بصر والشام فهدمت شيئا كثيرا. وماتت تحت الردم خلق كثير. وانهدم من الرمله ثلاثها. وتقطع جامعها تقطيعا. وخرج أهلها منها هاربين. فأقاموا بظاهرها ثمانية أيام. ثم سكن الحال فعادوا إليها. وسقط بعض حائط بيت القدس. ووقع من مصراع داود قطعة كبيرة. ومن مسجد إبراهيم قطعة. وسلمت الحجرة. وسقطت منارة عسقلان. ورأس منارة غزة. وسقط نصف بنيان نابلس. وحسب بقريه البارزاد وأهلها وبقرها وغنمها. وساخت في الأرض. وكذلك قري كثيرة هنالك. وذكر ذلك ابن الجوزي. ووقع غلا، شديد ببلاد إفريقية. وعصفت ربح سودا، بنصيبين فألقت شيئا كثيرا من الأشجار كالنوت والجوز والحناب. واقتلعت قصرا مشيدا بجماعة وأجر وكلس فألقتهم وأهلهم فهلكوا. ثم سقط مع ذلك مطر أمثال الأكف. والزود والأصابع. وجزر البحر من تلك الناحية ثلاث فراسخ. فذهب الناس خلف السمك فرجع البحر عليهم فهلكوا. وفيها كثر السوت بالخوانيق حتى كان يغلق الباب على من في الدار كلهم موتي. وأكثر ذلك كان ببغداد فمات من أهلها في شهر ذي الحجة سبعون ألفا. وفيها وقعت الفتنة بين السنة والرافض حتى بين العيارين من الفرقيين مع ابنا الأصفهاني. وهما مقدمي عيارين أهل السنة. منع أهل الكرخ من ورود ما، وجملة فضاق عليهم الحال. وقتل ابن البرجمي وأخوه في هذه السنة. وله يحج أحد من أهل العراق.

ما يثير الانتباه في هذا النص بعض أحداثه التي سنتعرض لتحقيق مغالطات كثيرة بين كتب التأريخ، ومن ثم لننتهي لما جننا إليه في حيثيات داء الخوانيق المذكور. إضافة إلى سردية ابن كثير هذه في هلاك ملك الروم أرماتوس، وتوافق الأحداث فيما يتعلق بزلزال مصر وفلسطين وجزر البحر.

تخريج الرواة.

قبل الاسترسال في التحقيق، يجدر التعرّيج على سالف ابن كثير في توريد الخبر. فورد هذه القصة لابن كثير (٧٠١-٧٧٤). سبقه في روايته ابن الجوزي (٥١٠-٥٩٧)، وكذلك ابن الأثير (٥٥٥-٦٣٠). الأول والثاني دمشقيان والثالث موصلّي، توفي ابن قيم الجوزية في رجب، والآخرين كلاهما في شهر شعبان، رحمهم الله واجزاهم كل خير، والحق يقال أن بالتسلسل التأريخ ابن الجوزي أقرب للأحداث زمنياً مما يتبلو في توثيقه وهو ما سنقف عليه.

في أحداث سنة ٤٢٥ للهجرة عند ابن الأثير

سرد ابن الأثير باسترسال ووضوح أحداث سنة ٤٢٥ المعنية^٢.

أول ما يوقفنا عنده ذكر قلعة اسمها نَغَسَى بالهند، التي وصلها مسعود بن محمود عاشر صفر، فأقام «عليها يحصرها فخرجت عجوز ساحرة فتكلمت باللسان الهندي طويلاً وأخذت مكنسة فبلتها بالماء ورشته منها جهة عسكر المسلمين، فمرض وأصبح لا يقدر أن يرفع رأسه وضعف قوته ضعفاً شديداً فرحل عن القلعة لشدة المرض فحين فارقتها زال ما كان به وأقبلت الصحة والعافية إليه وسار نحو غزنة»^٣.

الخبر الثاني، بقول ابن الأثير، في هلاك أرماتوس ملك الروم الذي ملك بعده رجل صيرفي ليس من بيت الملك، وإنما بنته قسطنطينة اختارته^٤.

الخبر الثالث الذي نتوقف عنده، يقول فيه ابن الأثير أن فيها «كثرت الزلازل بمصر والشام وكان أكثرها بالرملة، فإن أهلها فارقوا منازلهم عدّة أيام وانهدم منها نحو ثلثها وهلك تحت الهدم خلق كثير، وفيها كان بإفريقية مجاعة شديدة وغلاء»^٥. الخبر الرابع أن «فيها هبت ريح سوداء بنصيبين فقلعت من بساتينها كثيراً من الأشجار، وكان في بعض البساتين قبر مبنّي بجص وأجر وكلس فقلعته من أصله»^٦.

وآخر ما يهمننا من أخبارها أن «فيها كثر الموت بالخوانيق في كثير من بلاد العراق والشام والموصل وخوزستان^٦ وغيرها حتى كانت الدار يُسدُّ بابها لموت أهلها»^٧.

بل وإن ابن الأثير ينفرد بخبر آخر عنها فيقول «وفيها في ذي القعدة انقضّ كوكب هال منظره الناس وبعده بلبنتين انقضّ شهاب آخر أعظم منه كأنه البرق ملاصق الأرض وغلب على ضوء المشاعل ومكث طويلاً حتى غاب أثره»^٨.

تحليل تفاوت السردين.

من يقرأ في سرد ابن كثير الأول يحتار في فهمه سواء كان من حيث التأريخ أم الجغرافية. فحيثما يسرد ذكر الغلاء في إفريقيا، تونس حالياً، يتبعه بعصف الرياح السوداء بنصيبين، أي مدينة ماردين التركية الحالية. فدمج الخبرين مُربك لا محالة، فما علاقة تونس بماردين؟ بل وإن إتمام الخبر يقول فيه «وجزر البحر من تلك الناحية ثلاث فراسخ، فذهب الناس خلف السمك فرجع البحر عليهم فهلكوا»، فلا ندري أيهما يقصد، نصيبين أم إفريقيا؟ فنصيبين، أي ماردين الحالية، تبعد عن ساحل البحر مئات الكيلومترات، فهي مدينة داخلية، أقرب ساحلها يقع في مدينة دورتيول الحالية، أي ما يتجاوز ٥٠٠ كيلومتر.

٢ ابن الأثير. الكامل في التأريخ. تحقيق الدقاق، محمد يوسف. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨. المجلد الثامن، صفحة ٢١٠ وما بعدها.

٣ ابن الأثير، المصدر السابق، صفحة ٢١٠.

٤ ابن الأثير، المصدر السابق، صفحة ٢٢٥.

٥ ابن الأثير، المصدر السابق، صفحة ٢٢٥.

٦ الأحواز حالياً.

٧ ابن الأثير، المصدر السابق، صفحة ٢٢٥.

٨ ابن الأثير، المصدر السابق، صفحة ٢٢٥-٢٢٦.

إلا إن هذان الخبرين الأخيرين يردان مُفصّلين مُفصّلين واضحين عند ابن الأثير، الذي لا يتوقف عند خبر جزر البحر. فخير الغلاء في إفريقيا يورده كما صنّفناه بالخبر الثالث، ومن ثم يسرد خبر رياح نصيبين كخير مستقل آخر لا مغالطة في فهمه. أي أن لفهم حقيقة السرد يجدر الرجوع لابن الأثير لتفصيله ودقته عن خبر ابن كثير. لكن يبقى خبر جزر البحر هذا مُشوش، فلا ندري أي المقصود بجزر البحر، أي إفريقيا، أم في نصيبين، أم ربما لهذا علاقة بزلزال مصر والشام، الذي قد يكون نتجته حدوث ما عُرفت اليوم بظاهرة سونامي، نسبة للمفردة اليابانية، التي يجزر فيها البحر ثم يمدّ مدّاً غارقاً، إيان الزلازل؟

كلاهما مع ابن الجوزي

يبدو أن السرد الأوضح للنازلة يورده ابن الجوزي (٥١٠-٥٩٧)، لكن يسنده لسنة ٤٦٠، وليس لسنة ٤٢٥ كما يذكر ابن كثير والأثير. فيقول فيه ابن الجوزي:

«وفي جماد الأولى: كانت زلزلة بأرض فلسطين أهلكت بلد الرملة. ودمت شرافين من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولحقت وادي الصفراء، وخيبر. وانتشقت الأرض عن كنوز من السال. وبلغ حسنها إلى الرحبة والكوفة. وجاء، كتاب بعض التجار في هذه الزلزلة. ويقول: إنها خسفت الرملة جميعها حتى لم يسلم منها إلا دربان فقط. وهلك منها خمسة عشر ألف نسمة. وانتشقت الصخرة التي ببيت المقدس. ثم عادت فالتأمت بقدره الله تعالى. وغار البحر مسيرة يوم وساح في البحر. وخرّب الدنيا. ودخل الناس إلى أرضه يلتفتون فرجع إليهم فأهلك خلقاً عظيماً منهم»^٩.

نفهم هنا أن جزر البحر، أي السونامي، حدث متواصل مرتبط بزلزال مصر وفلسطين العظيم، الذي بلغ مرماء الكوفة، بالرغم من عدم إيضاح دقة مكان الجزر، أكان في البحر الأحمر، أم في سواحل المتوسط. ربما كان في الأحمر لمهولة وصف الجزر الذي راح مسيرة يوم، أو كما وصفه ابن كثير في مقدار ه، ثلاث فراسخ.

إلا أن المقدار هذا فيه تفاوت لابتعاد الواصف والموصوف. فمقدار الفرسخ قال فيه ابن باز (رحمه الله)

«وأما الفرسخ: لا أعلم الآن مقداره بما يتعلق بالموازين الحالية، ما أتذكر الآن، ولكنه يعني لمن تأمله سهل؛ لأن البريد أربعة فراسخ، والبريد نصف يوم، فأربعة فراسخ تقريب اثنا عشر ساعة؛ لأن مسافة القصر عند جمع من أهل العلم أربعة برد، ستة عشر فرسخ، والبريد أربعة فراسخ نص يوم، يمكن يعادل بست ساعات، كل فرسخ ساعة ونصف تقريباً، فالحاصل أنه لمن تأمله يتضح له إن شاء الله، لأن الفرسخ معروف»^{١٠}.

نفهم من هذا أن أربع فراسخ، في مفهوم ابن باز، قياساً على ثابت وتواتر مسافة القصر عند أهل العلم، أن أربع فراسخ ست ساعات مسير، أي نصف نهار، وليس يوم بنهاره وليله، فثلاث فراسخ التي ذكرها ابن كثير قد تعادل مقدار أربع ساعات ونصف سيراً، لكن هذا ما لا يتوافق مع وصف ابن الجوزي في قدره يوماً، أي ثمان فراسخ، تقريباً، بالرغم من وجود قرب شاهد عصري وعيني بين ابن الجوزي مع زمن الواقعة التي قد يكون قد لازم شهودها، أكثر من ابن كثير. لكن يجدر أيضاً الأخذ بعين الاعتبار الواقعة، أن البحر حيث جزر نزل إليه الناس وراء السمك، فرجع عليهم فهلكوا، أي لم يخرج منهم شاهد يشهد بالرواية، إلا من رواها من الغير الذي لم ينزل فقد يكون قد تاه عليه المقدار لهول المشهد. ومنه قد نستشق، إلا إذا اعترض أهل الاختصاص في معقولية أن يكون مقدار الجزر هذا في البحر الأحمر لضيق حوضه، فليس من المعقول أن يكون قد جزر البحر

٩ ابن الجوزي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق عبد القادر عطا، مصطفى ومحمد. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥، الجزء ١٦، صفحة ١٠٥.

١٠ في رده على السؤال، أنظر ابن باز في مقدار الصاع والفرسخ في المقاييس العصرية:

<https://binbaz.org.sa/fatwas/4985/%D9%85%D9%82%D8%AF%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%A7%D8%B9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D8%B3%D8%AE-%D8%AD%D8%B3%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%8A%D9%8A%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D8%A9>

الأبيض المتوسط كل هذا المقدار من جهة فلسطين، فلم نعث على ما يقابله من مد في سواحل الشمال الأوربية. مما يخلصنا للجزم بأن المد قد وقع في البحر الأحمر، من سواحل سيناء نزولاً في البحر الذي قد تراجع بسبب مهولة الاهتزاز الذي قدر بسبع درجات على المقياس الحديث (ريختر)^{١١}.

المفارقة الأخرى في تأريخ الزلزال الوارد عند ابن الأثير وابن كثير نسبة لسنة ٤٢٥ للهجرة الشريفة. خبر هذا الزلزال مضطرب في كتب التاريخ العلمي على أنه وقع إبان صبيحة يوم ٢٥ شباط (فبراير) ١٠٧٠ للميلاد^{١٢}، أي ما يوافق الثاني عشر من جماد الأولى لسنة ٤٦٢ للهجرة المطهرة، وهو ما يقترب ويتوافق مع ما وثقه ابن قيم الجوزية بأنه من أحداث سنة ٤٦٠. بل وإن مفارقة تأريخ حادث الزلزال وقف عليها آخرون فحصرها ما بين ٢٠ نيسان (أبريل) ١٠٦٧، ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٠٦٧، أو الثاني من شباط (فبراير) ١٠٧٠^{١٣}، أي ما يتوافق تماماً مع ذكر ابن الجوزي وينفي ما أورده ابن الأثير وكثير أنه وقع سنة ٤٢٥^{١٤}.

بل وسنقيسه على حدث آخر من أحداث السنة لتحقيقه.

في هلاك أرمانوس.

خبر هلاك أرمانوس، ملك الروم الذي خلفه رجل بنت قسطنطينية، على حد تعبير ابن الأثير، بالرغم من غموض الخبر عند ابن كثير، فقولته «ملكهم رجل ليس من بيت ملكهم، قد كان صيرفيا في بعض الأحيان، إلا أنه كان من سلالة الملك قسطنطين». لا ندري ما قصد بهذه العبارة المتناقضة، أنه رجل ليس من بيت ملكهم... إلا أنه كان من سلالة قسطنطين. فإن كان من سلالة قسطنطين، فكيف إذا هو ليس من بيتهم؟

لنهم هذه المفارقات ترد قصة قسطنطين الذي ولّاه الروم عليهم بعد الخلاف بين بنات قسطنطين بن أرمونوس الهالك سنة ٤١٩، فخلفته آخر بناته "ندورة" التي خلعوها ليقع الخيار على رجل من بينهم إسمه قسطنطين، أيضاً، فملكوه عليهم سنة ٤٣٤ للهجرة، فهلك سنة ٤٤٦ للهجرة^{١٥}. فخلفه أرمانوس، وكان ذلك أول الدولة السلجوقية، الذي أسره أرسلان في واقعة ملاذكرد في ذي القعدة لسنة ٤٦٣ التي انتصر بها السلاجقة على الروم تحت راية ألب أرسلان السلجوقي الذي خلف أبيه طغرلبيك من سنة ١٤٥٥ وحتى ١٧٤٦، حيث خلفه ابنه ملكشاه المتوفى سنة ١٤٨٥^{١٦}.

نفهم من هذا تضارب في الأحداث والتواريخ الواردة عند ابن كثير. فأرمونوس الذي يقصد هلاكه ابن كثير سنة ٤٢٥ هو ليس خليفة قسطنطين، إنما هو قسطنطين بن أرمونوس الهالك سنة ٤١٩، وليس كما ذكر ابن كثير سنة ٤٢٥. لكن قياساً على واقعة ملاذكرد لسنة ٤٦٣ يتوافق الحدث التاريخي مع زلزال مصر والشام، لكن ينتفي مع خبر هلاك أرمونوس.

١١ أنظر:

Abdel-Fattah, Ali et alt. «Fault plane solutions of the 1993 and 1995 Gulf of Aqaba earthquakes and their tectonic implications». Annali di Geofisica, Vol. XL, N.º 6. December 1997, (1555-1564), p. 1557.

12 National Oceanic and Atmospheric Administration, NOAA. [8 may, 2020] https://www.ngdc.noaa.gov/nndc/struts/results?bt_0=&st_0=&type_17=EXACT&query_17=None+Selected&op_12=eq&v_12=EGYPT&type_12=Or&query_14=None+Selected&type_3=Like&query_3=&st_1=&bt_2=&st_2=&bt_1=&bt_4=&st_4=&bt_5=&st_5=&bt_6=&st_6=&bt_7=&st_7=&bt_8=&st_8=&bt_9=&st_9=&bt_10=&st_10=&type_11=Exact&query_11=&type_16=Exact&query_16=&bt_18=&st_18=&ge_19=&le_19=&type_20=Like&query_20=&display_look=1&t=101650&s=1&submit_all=Search+Database.

13 Ambraseys, et al. The Seismicity of Egypt, Arabia and the Red Sea: A Historical Review. Cambridge: Cambridge University Press, 2005, p. 31.

١٤ في دراسة أخرى تذكر بأن الزلزال وقع ١٨ آذار (مارس) ١٠٦٨، وليس ٢٥ شباط (فبراير) ١٠٧٠، أنظر:

Abdel-Fattah, Ali et alt. *ibid*, p. 1557.

١٥ القلقشندي، احمد. صبح الأعشى. القاهرة، دار الكتب الخديوية، ١٩١٥، الجزء الخامس، صفحة ٤٠٠-٤٠١.

١٦ حققه أيضاً عبد اللطيف، أحمد. منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة. الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٩٣، صفحة ٢٠.

١٧ ابن كثير. المصدر السابق. صفحة ١٠٧.

١٨ ابن كثير. المصدر السابق. صفحة ١٤٣.

الخوانيق في سرد التاريخ

يوثق ابن الجوزية وفاة بويه أبو منصور، مؤيد الدولة بن ركن الدولة عن عمر يناهز الثلاث وأربعين سنة، سنة ١٣٧٣.^{١٩} من دون أن يذكر ماهية داء الخوانيق هذا وكأنه معروف عندهم حينئذٍ، وهو الذي أورده ابن الأثير بنفس السرد^{٢٠}، ولم يذكر أسبابه ابن كثير^{٢١}. ومن ثم يذكر ابن الجوزية أن تلاه عام الطاعون، ٤٧٨ الذي عم بغداد ووهلك به عامة أهل البصرة وخرسان والشام، حتى أن درياً من دروب التوتة مات جميع أهله فسُدَّ باب الدرب، وتعقبه موت الفجأة، ثم تلاه الجدري في الأطفال، وتعقبه موت وحوش البرية، ومن ثم موت المواشي، فعم القحط، ثم أصاب الناس الخوانيق، والأورام، والطحال^{٢٢}.

الجدير بالذكر هنا وصف ابن الجوزية لما سماه بالطاعون فيقول فيه:

«بدأ الطاعون ببغداد ونواحيها. وكان عامة أمراضه الصفراء. بينما الرجل في شغل أخذته رعدة فضر لوجهه. ثم عرض لمره شجاج وبرسام وصداع. وكان الأطباء يصفون مع هذه الأمراض أكل اللحم لحفظ القوة. فإنهم ما كانت تزيدهم الحمية إلا قوة مرض. وكانوا يسمونها: مغوية. وتقول الأطباء: ما رأينا مثل هذه الأمراض لا تلائمها السبرات ولا السخفات. واستمر ذلك إلى آخر رمضان فمات منه نحو عشرين ألف ببغداد. وكان المرض يكون خمسة أيام وستة ثم يأتي السوت. وكان الناس يوصون في حال صحتهم. وكان البيت يلبث يوماً ويومين لعدم غاسل وحافر. وكان الفقراء يحفرون عامة ليلتهم بالروحانية ليفي ذلك بسن يقبر نهارة. وهب السقدي للناس ضيعة تسمى الأجمة فامتألت بالقبور وفرغت قري من أهلها منها السحول»^{٢٣}.

فمن هذا الوصف يبدو أنه مرض الصفار أو أبو صفار (Jaundice)، النازل سنة ٤٧٨، هو ليس الطاعون بعينه كما نفهمه، ولربما كان يسمى كل داء يطعن بالناس طاعوناً، بل ولا يتفق مع وباء زمننا هذا، ما سمي بالكورونا، المعروف باحمرار الوجه وليس اصفراره، الذي تلا نزول ذلك الوباء الوارد في ذكر ابن الجوزية لأحداث سنة ٤٧٨، لكن يتواتر ذكر نزول الخوانيق في عدة أزمنة وعلى كثير من العباد والمخلوقات.

الخوانيق لغة.

ذكر ابن القيم ان الخوانيق قضت على الملك نور الدين محمود زنكي، سنة ٥٦٩، مرض يمنع من النطق، وهو شأن من أوجاع الحلق، حتى قيل لقبه «نور الدين الشهيد، لما حصل له في حلقه من الخوانيق»^{٢٤}. في لسان العرب لابن منظور (متوفى سنة ٧١١). أوردها تحت باب الخنق فقال فيها «الخنق والخنافية داء أو ريح يأخذ الناس والدواب في الحلق ويعتري الخيل أيضاً وقد يأخذ الطير في رؤوسها وحلقها وأكثر ما يظهر في الحمام فإذا كان ذلك فهو غير مشتق لأن الخنق إنما هو في الحلق يقال خنق الفرس فهو مخنوق»^{٢٥}. وفي المعجم الوسيط الخنق كل داء يمتنع معه نفوذ النفس إلى الرئة، و الخنافية داء أو ريح يأخذ في حلق الناس والدواب، وقد يأخذ الطير في رؤوسها وحلقها، وأكثر ما يظهر في الحمام، ويعتري الخيل أيضاً^{٢٦}. وأما

١٩ ابن الجوزي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق عبد القادر عطا، مصطفى ومحمد. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥، الجزء ١٤، صفحة ٣٠٢-٣٠٣.

٢٠ ابن الأثير. المصدر السابق، الجزء السابع، صفحة ٤٠٩.

٢١ ابن كثير، المصدر السابق، الجزء الحادي عشر، صفحة ٣٠٢.

٢٢ ابن الجوزي. المصدر السابق، الجزء ١٦، صفحة ٢٤٠.

٢٣ ابن الجوزي. المصدر السابق، الجزء ١٦، صفحة ٢٤٠.

٢٤ ابن القيم، المصدر السابق، الجزء ١٢، صفحة ٢٨٤.

٢٥ ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب. بيروت، دار صادر، ١٣٠٠، المجلد الثالث، صفحة ١٤.

٢٦ أنيس، إبراهيم وآخرين. المعجم الوسيط. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤، صفحة ٢٦٠.

معجم اللغة العربية المعاصرة فيورد حُناق على أنه داءٌ مُعَدٍ يصيب الحلق والحنجرة، يصعُب معه التنفس، وتصحبه حرارة عالية وضعف ويقال له: الدفتيريَّة "أصيب بحُناق شديد"^{٢٧}. وهذا هو ربما عين داء زماننا، إلا إن داء الكورونا يصحبه احمرار الجلد الذي لم يذكره أحد هنا.

الباكورة.

مما تقدم في مصالحة الأحداث نفهم أولاً أن ما سرد ابن كثير المتعلق بأحداث سنة ٤٢٥ للهجرة المطهرة، يتعلق بهلاك قسطنطين بن أرمونوس سنة ٤١٩ وليس ٤٢٥، بل ولم يهلك أحد منهم في تلك السنة، إنما خليفته قسطنطين الهالك سنة ٤٤٦، خلفه أرمونوس الذي وقع أسير السلاجقة في واقعة ملاذكرد سنة ٤٦٣، نفس سنة زلزال مصر والشام، وليس ٤٢٥ كما ذكرها ابن كثير.

وأما الخوانيق، فهو مرض عضال لا محالة، لكن لم يتواتر إثبات عدواه، أي لم يرد أنه مرض معدٍ كالطاعون. بل إن مؤيد الدولة الذي هلك به حُمِلَ به، وصُلِّيَ عليه، وجُعِلَ قبره مزاراً، فلم يذكر أحد تفشي هذا المرض كداء بين الناس بالرغم من عضاله حينئذٍ، أي إبان القرن الرابع للهجرة المطهرة. لكن لم يثبت علاقة تفشيه ببغداد والعجوز الهندية التي ضربت بمكنستها جيش مسعود الغزوي ومرضه، فلم أجد علاقة بينهما، فقد اتفقت أكثر من رواية على معافاته بعد مغادرة الحصار، فهو على ما يبدو لم يكن إلا سحر ساحر، والعياذ بالله.

لكن على ما يبدو ويثبت هو أن الخوانيق هو داء مهول نزل ببغداد، الموصل، الشام، وامتد من البصرة إلى الأحواز لما فتك به من العباد والدواب، راح ضحيته سبعون ألفاً من عوام وخواص العباد، بل لم يفرق بين طائر ودواب.

المصادر.

١. ابن الأثير. الكامل في التاريخ. تحقيق الدقاق، محمد يوسف. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨. المجلد الثامن.
٢. ابن الجوزي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق عبد القادر عطا، مصطفى ومحمد. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥، الجزء ١٤.
٣. ابن الجوزي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق عبد القادر عطا، مصطفى ومحمد. بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥، الجزء ١٦.
٤. ابن كثير. البداية والنهاية. بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٩١. الجزء السابع.
٥. ابن كثير. البداية والنهاية. بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٩١. الجزء ١١.
٦. ابن كثير. البداية والنهاية. بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٩١. الجزء ١٢.
٧. ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب. بيروت، دار صادر، ١٣٠٠، المجلد الثالث.
٨. أنيس، إبراهيم وآخرين. المعجم الوسيط. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤.
٩. عبد اللطيف، أحمد. منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة. الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٩٣.

١٠. عمر، أحمد مختار. معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة، عالم الكتاب، ٢٠٠٨، المجلد الأول.

١١. الفلقشندي، احمد. صبح الأعشى. القاهرة، دار الكتب الخديوية، ١٩١٥، الجزء الخامس.

12. Abdel-Fattah, Ali et alt. «Fault plane solutions of the 1993 and 1995 Gulf of Aqaba earthquakes and their tectonic implications». Annali di Geofisica, Vol. XL, N.º 6. December 1997, (1555-1564), p. 1557.
13. Ambraseys, et al. The Seismicity of Egypt, Arabia and the Red Sea: A Historical Review. Cambridge: Cambridge University Press, 2005.
14. National Oceanic and Atmospheric Administration, NOAA. [8 may, 2020] https://www.ngdc.noaa.gov/nndc/struts/results?bt_0=&st_0=&type_17=EXACT&query_17=None+Selected&op_12=eq&v_12=EGYPT&type_12=Or&query_14=None+Selected&type_3=Like&query_3=&st_1=&bt_2=&st_2=&bt_1=&bt_4=&st_4=&bt_5=&st_5=&bt_6=&st_6=&bt_7=&st_7=&bt_8=&st_8=&bt_9=&st_9=&bt_10=&st_10=&type_11=Exact&query_11=&type_16=Exact&query_16=&bt_18=&st_18=&ge_19=&le_19=&type_20=Like&query_20=&display_look=1&t=101650&s=1&submit_all=Search+Database.